

ضبط الوضع الداخلي هي المسألة المركزية في الوضع الراهن.

### النظام وسياسة إغماض العين

إن الخبراء الأمنيين في المؤسسة الأكثر سطوة ومراساً في الداخل، يعرفون أن مواجهة حقيقية للموجة الدموية التكفيرية التي يقودها «داعش»، تتطلب برامج عمل ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية، داخل الأردن، أولاً، لأن امتدادات التنظيم لم تعد خلايا نائمة فقط، فشوارع معان والزرقاء ومناطق ومراكز تجمعات عدة، شهدت تظاهرات عديدة ترفع شعارات التنظيم، ما يؤكد قدرة تلك العناصر التكفيرية «الجهادية» على زعزعة الوضع الداخلي وخلق الفوضى في أكثر من مكان. كما أن العديد من خطباء المساجد يطلقون أفكار وفتاوى التنظيم، ومناهج وزارة التربية والتعليم التي يهيمن على وضعها أعضاء بارزون من التيار الإسلامي، وفرت التجربة التي نبنت وازدهرت فيها الأفكار الحامدة والغيبية التي أدت إلى هيمنة فكر منغلق يرفض التطور المعرفي والعلمي بأفائه الرحبة. كل هذا الشحن الديني والتعليمي يجرى أمام العين الأمنية؛ كما أن الأوضاع الاقتصادية المتردية، وزيادة عدد الطفيليين من «القطط السمان» ساهم بإيجاد دوافع دائمة للغضب والنقمة والتمرد.

### الخلاصة

إن المهمات العاجلة للمقاومة على عاتق القوى والشخصيات الوطنية تتطلب حراكاً شعبياً ضاعطاً للجم الاندفاع الغريزية للنظام، مع تفعيل العمل الجماهيري اليومي في الشارع من أجل وقف نشاط غرف العمليات الداعمة للمسلحين في مناطق جنوب سوريا، لأن محاربة الإرهاب لا تتجزأ. إن الاستعانة بمنظري بعض التيارات «السلفية» التي تختلف عن «داعش» ببعض المسائل الإجرائية و«الفقهية» هي نوع من اللعب بالوقت المستقطع من المجابهة. ولهذا لا يمكن الرهان على سياسات، تكيل بمكيالين.

\* كاتب عربي

الفساد وارتفاع أسعار المواد الأساسية والتهميش والفقر والبطالة والغلاء وفقدان التنمية». نجح القصر ومؤسساته الأمنية والعشائرية في ضبط حركة الاحتجاجات في الشارع من خلال الغرائز المنفلتة من أي تفكير ورؤيا.

ولم تنجح، بالتالي، كل نداءات القوى والشخصيات السياسية الوطنية، ذات الصدقية العالية والاحترام الشعبي، في الوصول لأذان وعقول الساخطين على داعش، وليس على داعميهها ومصادر تمويلها. وقد اعتقد النظام أن تنفيذ حكم الإعدام الصادر منذ سنين بحق الريشاوي والكربولي هو خطوة أولى نحو تبريد الغليان العشائري والشعبي، مستتباً ذلك بضربات جوية لبعض المواقع «المفترضة» للتنظيم في الرقة والموصل، لتنفيذ احتقان الغضب.

### التفرد الملكي بالرد المنزل!

رغم إدراك الجميع بأن ضربات طائرات التحالف، مجتمعة، لا تعدو كونها عملية جراحية موضعية في بعض المناطق التي يسيطر عليها الداعشيون، إلا أن مسؤولي النظام هددوا بأشد العبارات، تنظيم

## استطاعت عقلية النظام توظيف «فورة الدم» لتحديد الرد ب«الثار لمعاد»

«داعش»، وحركوا طائرات عدة لضرب بعض مراكز التنظيم، في تأكيد جديد على قدرة الجيش على «سحق» التنظيم؛ لكن الأخطار المحدقة بالأردن تزداد مع الإقدام على مواجهة منفردة مع التنظيم، والذهاب بعيداً للحديث عن دور أساسي للجيش في أي عمليات برية، ستحملها في حال حصولها - قوات من الدول التابعة وليس من جيش المركز الأميركي.

إن إرسال أبناء الشعب لمغامرات عسكرية خارج الحدود أمر ترفضه قطاعات واسعة من الشعب الأردني، خصوصاً أن إعادة

للجيش وللفروع المؤسسة الأمنية: المخابرات العامة والشرطة والدرك، أن يستغل الحادث لإعادة للممة الأوضاع الاجتماعية المازومة والمحتقنة، بخاصة في المحافظات الجنوبية، نتيجة السياسات الاقتصادية المتبعة التي أدت إلى «تضخم

الغريزية لدى عائلة وأهل الفقيد والعشائر لتحديد الرد ب«الثار لمعاد». وقد استطاع النظام الذي حافظ على وجوده من خلال التبعية للمركز الإمبريالي، والاعتماد على العشائر وولائها من خلال انخراط أبنائها بالوظائف التي يوفرها الانضمام



الأضاليل والكذبات الكبرى المصدرة لنا من مراكز التفكير والتوحش العولمي في الغرب.

إن استرجاعاً متأنياً ومراجعة دقيقة لنواتج اللوثة الهرمونية المرضية التي أصابت بعض الدول العربية في سياق ما دعي «الربيع العربي»، وما أفرزته من صراعات وانقسامات مجتمعية وسياسية وإثنية وعرقية في سيناريوهات سيئة، تتشابه في «كارثيتها» بين تلك الثورات التي سرعان ما أسقطت أنظمتها بالعنف الثوري أو بالهروب أو التناحي أو تلك الأنظمة التي أصاب إسقاطها الاستعصاء، يظهر أن الربيع العربي لم يقدم نموذجاً جيداً للاحتذاء والامتثال. كان نمطاً مشبوه المصدر والأسلوب في التغيير الديمقراطي القادم على أنغام جوقات استدعاء الناتو وسطوة الفصل السابع، ويتمويل باذخ من بلدان رباح الخماسين ونفط صحاري الربع الخالي.

إن المسارات التي اتخذتها صراعات السلطة في بلدان الربيع العربي وعدم المقدرة على سد الفراغات المهولة الناجمة عن انهيارات السلطات الحاكمة في تلك الدول العربية المتجانسة بشريا وإثنياً يجعل استعراض السيناريو السوري الكارثي، سابق الوصف، أمراً واقعياً كون المعارضات في كل البلدان العربية - بخاصة تلك المعارضات العريقة في مصر - لم تكن قادرة على تأمين بديل آمن من النظام السابق، فكيف بالمعارضة السورية التي اتسمت بالتشتت والتطرف والمراهقة وبكونها طفيلية غارقة

وقد أسقطوه وبات وهج السلطة وبريقها يلوح أمام أبصارهم. سيخوضون حملات متكررة من التصفية والتصفية المضادة، ما سيجعل بسطاء الشعب السوري بأطيافهم يدفعون الثمن الغالي والإكلاف الباهظة. كيف لا وقد استخدمت كل الشعارات الثورية الحماسية، ولعب التحريض الطائفي والمذهبي لعبته الدموية، وشيطنت طوائف ومذاهب وأعراق وقطاعات من الدولة السورية، بخاصة الجيش السوري وجيش الدولة من الموظفين. استمرت فتاوى التكفير بتأثيرها في الرؤوس الحامية، وانقدحت روح الأحقاد والانتقام، وتمظهرت روح الله في تصرفات «المجاهدين»، فمارسوا سلطته في أحكام المخالفين معهم فطبقوا الحدود بحماسة واندفاع.

تفرغ سورية من سكانها... من تبقى منهم بقية مسلحين خلف مناريس الأزقة والحارات، يعيشون عبت الحكم فوق الخراب والدمار، وتهدد سورية بالزوال والذوبان في أقاليم جديدة تتشكل وفق تصور مجنون لبرنارد لويس في زمن السيولة الجغرافية وتوحش الأحلام الاستعمارية لدول الشركات متعددة الجنسيات.

إن سيناريو كارثياً مُتخيلاً كهذا نشاهد مثيلاً له اليوم في ليبيا وقد شاهدنا مثيلاً له في بغداد نيسان 2003. لا يلزم لتحقيقه إلا انصياع تام للدولة السورية بمكوناتها الوطنية الجامعة (دولة عميقة وشعب حضاري وجيش عقائدي) لرواية

في التبعية لجهات مختلفة، تعيش على الأحقاد القديمة وعلى الخطاب الطائفي المقيت، وكيف بسوريا المتنوعة الأعراق والأجناس والمذاهب والطوائف.

يفترض نجاح هذا السيناريو إغفالاً للدور الحضاري السوري الموهل آلاف السنين الذي شكل نسيج البروكار البشري

## تخوض سورية اليوم سيناريو آخر معاكساً لسيناريو سقوط دمشق،

السوري في مواجهة غيلان الصحاري القاحلة وأحلام الواهمين باستعادة عصور سلطانية ماضية. تخوض سورية اليوم سيناريو آخر معاكساً لسيناريو سقوط دمشق. تختار فيه أن تقف في وجه العاصفة والجهل القادم من قلب التاريخ والجغرافيا، مزودة بسياسات تحدي ومقاومة وممانعة معاكسة لسيل لا يتوقف من التخلي والعمالة والركون للعولة الغربية المتغترسة بنهم في بلدان المنطقة. تعدد العوامل المساعدة للسيناريو المعاكس يشكل مروحة واسعة من دوافع الصمود والمقاومة، نبدأ بنواة محور عالمي يتشكل من جديد، لينتهي بمواطن سوري معاند يرفع أصبعه معترضاً في وجه النظام العالمي الجديد، ويفضل أن يمارس طقوس ديكتاتورية المواطنة على أن يعيش

ديمقراطية الطوائف والمحاصصة. فرضت على سوريا معركتها، وهي معركة الجدار الأخير، تحتمي فيها بترات إنساني حضاري عريق وشعب أصيل وجيش متمرس عقائدي، يدافع عن تراثه الوطني في وجه غرباء ومضللين وأصحاب أوهام وأحلام، وليس أمامه إلا الانتصار.

إن دولة كسورية وقفت وحيدة مع كثير من الشعوب العربية والمسلمة في وجه الغزو والسطو المسلح الأميركي الغربي لدول المنطقة، واستطاعت بدعمها لحركات المقاومة في المنطقة (يجب التنويه بالمقاومة العراقية وإن شذت بعض فصائلها وأخطأت الطريق والهدف)، واستطاعت عبر محورها الداعم التأسيس لسياسة «انهيارات الدومينو المعاكسة»، والتي عشنا بعض فصولها في انتصارات المقاومة في لبنان وفلسطين والعراق، ويسقوط الدور الوظيفي لدولة الكيان الصهيوني والأفول المتدرج للسياسات المتغترسة للقطب الأميركي في المنطقة. إن كل الحلول القسرية التي تصدر إلى سورية عبر معارضات مشبوهة مرتزقة تعتبر إغفالاً في سفك الدماء السورية، واسترخاها لها في ألعاب الأمم. وتعد عبثاً لا طائل منه ما لم نعتمد الحلول أساساً على التحاور السوري وعلى ثوابت الضمير السوري الجمعي، وتراكم فهم الوطنية السورية في القرار الوطني المستقل بعيداً من الإصلاعات والرغبات الخارجية.

\* كاتب سوري